الأوبئة في تونس في العصر الوسيط

حليمة هارون سلطان
جامعة بنغازي–كلية الآداب–قسم التاريخ

Epidemics in Tunisia in the middle age

Halima Haroun sultan
UniversityofBenghazi-facultyofarts-historysection
Email: sharwkyn@gmail.com

Abstract

The scientific paper speaks in a simplified form about the plague that Hit Tunisia at the beginning of 748h and presented the general concept of plague and its symptoms described by some scholars and scholars ,she adding light on the source of plague,how it reached Tunisia,and showing the caused in this coastal city which is an important commercial center and talk the city s site and Urban planning,which contributed to the spread of the disease then we are looking at the most important social effects that came as a result of the spread of plague throughout the city and how the Tunisian society dealt with it.

keywords:conceptplague-theappearanceandcausesofproferationinTunisia-SocialimpactsonTunisiansociety.

ملخص البحث

هذه الورقة العلمية تتحدث بشكل مبسط عن الطاعون،الذي أصاب تونس مع بداية سنة 748هـ وعرض للمفهوم العام للطاعون ،وأعراضها التي وصفه بعض المؤرخين إلي جانب إلقاء الضوء علي منبع الطاعون وكيفية وصوله إلي تونس ،إلي جانب عرض أسباب انتشاره والأضرار التي سببه في تلك المدينة الساحلية، التي هي مركزا تجاريا مهما والتكلم عن موقع المدينة والتخطيط العمراني الذي ساهم في انتشار الوباء ثم نطل علي أهم الآثار الاجتماعية التي جاءت نتيجة انتشار الطاعون في أرجاء المدينة وكيف تعامل معه المجتمع من الناحية الدينية و الاقتصادية

الكلمات المفتاحية:مفهوم الطاعون،ظهور وأسباب انتشر الطاعون بتونس،الآثار الاجتماعية للطاعون علي المجتمع التونسي.

المقدمة

في ظل الظروف العصيبة التي يمر بها العالم من أزمات الاقتصادية الخانقة واجتياح العالم لوباء كورونا الذي أوقف جميع القطاعات وخاصة التعليمية وتوقف الإبداع جاء مؤتمر كلية التربية الأساسية لجامعة بابل ليوقظ بداخلي الشعور بالتحدي وكتابة ورقة علمية تجعل من الأمل شعاع ينير الطريق ولذلك قررت ترك الركود والمساهمة العلمية من خلال اختيار موضوع له علاقة بالحاضر وان كان في العصور الوسطي ليأتي موضوع الأوبئة في العصر الوسيط الذي جاب معظم أنحاء العالم وكان له كبير الأثر علي المجتمعات التي انتشر به والتي أدت إلي هلاك الكثير من البشر واختارنا مدينة تونس التي مر به الكثير من الأوبئة و كان في بدايته الطاعون الذي ظهر في سنة 748هـ،وكان سببا في الكثير من الأخطار الواقعة من حيث عدد المواتي ،وتأثيرها في الناحية الدينية والاقتصادية.

واتبعنا في هذا البحث المنهج التاريخي السردي وتحليل الأحداث للوصول إلي فهم الواقع الذي عاشه المجتمع التونسي في تلك الفترة وقد قسمنا البحث إلي ثلاث مباحث وهي:

المبحث الأول–مفهوم الطاعون.

المبحث الثاني –ظهور وأسباب انتشار الطاعون بتونس.

المبحث الثالث –الآثار الاجتماعية علي المجتمع التونسي.

مشكلة البحث :من خلال عرضنا لموضوع وباء الطاعون في العصر الوسيط في مدينة تونس حولنا معالجة بعض الجوانب والتي كانت إطلالة علي مفهوم الطاعون من عدة جوانب إلي جانب أسباب الانتشار وتأثيرها علي بعض نواحي الحياة.

فرضية البحث:مما مر بنا في العصر الحاضر من انتشار وباء عالمي وما كان له من تبعات علي جميع نواحي الحياة جعل هناك الكثير من الأسئلة علي مدي تأثير الطاعون بتونس في العصر الوسيط في فترة انتشار الطاعون وجئت الإشكالية في محاولة للإجابة عن بعض التسأولات وهي ما هو الطاعون الذب بدء في عام 748هـ؟ وأسباب أنتشر الطاعون في تونس؟وكيف اثر الطاعون في المجتمع التونسي ؟

موقع الدارسة :مدينة تونس في العصر الوسيط.

أهمية الموضوع :تعتبر مواكبة العصر فيما يخص موضوع الأوبئة الذي يشغل العالم الآن ولإهتمام بالمواضيع المطروحة لذلك قد طرحنا ما يتعلق بالموضوع في العصور الوسطي وربطة بالحاضر إذا أختير موضع الطاعون في العصر الوسيط علي كيف تعامل الناس في مع الطاعون ولاستفادة من تجربة الماضي في واقع الحاضر.

أهداف الموضع:

1–للمشاركة في المؤتمر الافتراضي الدولي الأول لكلية التربية الأساسية |جامعة بابل.

2– التطور والمضي قدما في مسيرة البحث العلمي وتقيم الذات علي الانجاز في ظل الظروف الصعبة.

3–التعرف علي الاوضاع التي مرت به تونس عندما ظهر به الطاعون.

المبحث الأول–مفهوم الطاعون:

في العصور الوسطي كانت تونس تمر بأزمات كثيرة ومتنوعة من حروب وأمراض وصراعات داخلية وخارجية ومن ضمن الأوضاع التي كانت في تونس موجات من الأوبئة التي كانت تنتقل من مكان إلي أخر ومنه الطاعون والذي جاء له عدة مفاهيم من خلال وجهات نظر متعددة ومنه

في العصور التاريخية القديمة ،كان يطلق اسم الطاعون علي كل مرض يوقع بالكثير من البشر، ÷وأول من أطلق عليه هذا الاسم هو بقراط الطبيب ،وقد وصفه بأنه حمي تؤدي بصاحبه إلي الوفاة المؤكدة وسمي بالطاعون([2488])

أما في المفهوم العام للفقهاء العصور الوسطي فقد عرف بأنه مرض يصيب منطقة ما في العالم ويفتك بأهله فهو طاعون ([2489])

وقد أعطى العلماء الوصف للطاعون بأنه غدة كبيرة مؤلمة تخرج في بعض أجزاء الجسم وتكون حمرة بنفسجية وتكون له العديد من الأعراض التي تصيب المريض منه الحمى،والضعف العام بالجسم والكثير من الأورام الظاهرة على الجسد المريض وهناك بعض المميزات التي لو ظهرت كانت معناها النهاية الحتمية للمريض كنفث الدم والحمى الشديدة([2490])

وقد كان انتشر مرض الطاعون في القرن الثامن الهجري في العديد من دول العالم في القارات الثلاث آسيا وأفريقيا وأوروبا وقد حصد الكثير من الناس وقد سمي بالطاعون الأسود أو الموت الأسود.//([2491])

---

(1)اسماعيل رشدي:السر المكنون في أبحاث الطاعون ،مطبعة الشعب ،مصر 1322ه/1904م،ص9.

(2) محمود الحاج قاسم محمد :البيئة والأوبئة في التراث الطبي العربي الإسلامي،دارماشكي للطباعة والتوزيع ،الموصل – العراق،2020م-1441ه،ص23

(3)IBLA,1995,t58,n175,AHMEDSAADAoul,المغرب الإسلامي في مواجهة الطاعون (الطاعون الأعظم و الطواعين التي تلته القرنين 8-9ه\14-15م ص121

(4)اسماعيل رشدي:السر المكنون ص9.

المبحث الثاني:ظهور وأسباب انتشر الطاعون بتونس:

قد ظهر الطاعون بصفة عامة في قارة آسيا ثم انتقل منه إلي أنحاء كثيرة في العالم نظرا لحركة السفن عن طريق البحر والتي تحمل معه البضائع ([2492])

وبالتالي ينتقل معه المرض وقد اعتبرت سنة 734ه بداية الوباء ومن ثم انتقل في العديد من المدن ومنه تونس التي يرجع بداية ظهور الطاعون به عام 748ه([2493])

وقد كانت هناك العديد من الأسباب،التي ساهمت في انتشار المرض منه، موقع المدينة لأنه مطلة علي البحر المتوسط،وفي التخطيط العمراني للمدينة يتوسطه الجامع الأعظم الذي يوجد حوله أسواق كثيرة مغطاة يكون بيه ظل في الصيف وحماية من المطر في فصل الشتاء ومن جملة،الأسواق سوق الجبة،والعطارين والغزل وغيرها ويحيط بالمدينة سور كبير ساعد في أنتشر الطاعون بصورة سريعة فازدحام الناس في الأسواق وقربه من مكان الصلاة أدى لتجمع عدد كبير من الناس بجانب قرب الميناء البحري من المدينة التي تمر بيه حركة السفن التي تنقل البضائع من جميع أنحاء المعمورة وسبب ذلك في عدم القدرة علي أعداد المرضي والوفيات التي وصلت لألف ميت في اليوم الواحد([2494])

المبحث الثالث–الآثار الاجتماعية للطاعون علي المجتمع التونسي

عندما حل الطاعون في مدينة تونس المليئة بالحركة الاجتماعية والاقتصادية فقد تأثرت بالطاعون علي جميع الأصعدة ونتعرض أولا للتأثير الديني للمجتمع التونسي فقد لجأ الناس

بجميع طبقاته بعد أن تملكهم الخوف والرعب من الذي حل بهم فكانت الوسيلة التي هربوا إليه أتباع الطرق الصوفية التي تدعو إلي ترك الدنيا والزهد عنه وقد كانت الطرق الصوفية تلقي ترحيب كبير من الناس بجميع طبقاتهم فقد لجأ كثير من الأغنياء اليه واتبعوا ما تهدف له من أعطاء الصدقات ومنه وقف أملاكهم للفقراء إضافة لذلك كانت الزوايا الصوفية تقوم بتقديم الأكل والمأوى للمحتاجين الذين كثرت أعدادهم بسب قلة الأموال والأعمال ([2495])

ولم يكن هناك علاج فعال في القضاء علي المرض فكان الناس يعتمدون علي الطرق التي يعرفونه أملا منهم في إيجاد حل ومنه الخرافات والتمسك ببعض العادات القديمة لذلك فقد حصد الطاعون الكثير من الناس ومنهم من كانوا ذا شأن مثل القاضي ابن عبد السلام والفقيه العابد سيدي يحي السليماني([2496])

وبذلك نري أن الطاعون كان مهلك الناس بجميع الفئات دون استثناء([2497])

وفي وقت عصيب كهذا نري استغلال التجار للسلع ورفع أسعارها بشكل مبالغ فيه كالسلع الأساسية والتي منه القمح وقد اثر ذلك علي الحالة الاقتصادية وكثر الفقراء فافي هذه الحالات عندما تكون النهاية قريبة لا يعطي التجار فرصة للتعايش مع الحالة

---

(5)محمد حسن:المدينة والبادية بإفريقيا في العهد الحفصي ،ج1،جامعة تونس الاولي،تونس،1999م،ص605.

(6)AHMEDSAADAoulp,p121.

(7)روبار برنشفيك :تاريخ إفريقة في العهد الحفصي من القرن 13إلي نهاية القرن 15م،تر حمادي الساحلي ،ج1،دار الغرب الإسلامي ،بيروت \البنان،ص371-378.\ج2 ص394.

(8)محمد الهادي الشريف:تونس من عصور ما قبل التاريخ إلي الاستقلال ،تر محمدالشاوش-محمد عجينة،ط3،دار سراس للنشر،تونس،1993م،ص61-63

(9)محمد بن ابي القاسم المعروف بابن ابي دينار:المؤنس في أخبار أفريقية وتونس ،مطبعة الدولة التونسية بمحاضرته المحمية ،ص139.

[2497] ابو عبد الله محمد بن أحمد ابن الشماع:الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية ،تح الطاهر بن محمد المعموري،الدار العربية للكتاب،1984م،ص105\ابي عبد الله محمد ابن مريم الشريف:البستان في ذكر الأولياءوالعلماء بتلمسان ،مراجعة محمد ابن ابي شنب ،المطبعة التعالبية ،1908م\1226ه،الجزائر،ص43.

الاقتصادية المتردية وعدم وجود الأموال عند الكثير من الناس والكن تكون الفرصة الذهبية لجني الكثير من الأموال للتجار وتكوين أموال كثيرة ([2498])

وقد أفنت قري بأكمله وكانت البيوت فارغة من أصحابه ولم تعد موجودة وقلت المهن فيه لقلة الأيدي العاملة وأهملت الزارعة مما سبب بعد ذلك في ظهور المجاعات التي ما دائما تأتي عقب كل وباء([2499])

نتائج البحث

1-الطاعون مرض لم يكن له علاج وكان هناك استسلام لفكرة الموت منه ولذلك سمي بالموت الأسود

2-ظهور الطاعون في قارة آسيا ونقله إلي مدن أخره بسبب حركة التجارة والتنقل

3-اتسع رقعة الطرق الصوفية التي وجد الناس به ظلتهم من الوباء

4-لا يوجد تعاون من التجار من الناحية الاقتصادية بل استغلال للأوضاع

5-إهمال الزارعة وبعض الحرف لموت اعدد كبيرة من الناس

المراجع

1. .AHMEDSAADoUI. (1995)المغرب الأسلامي في مواجهة الطاعون :الطاعون الاعظم والطواعين التي تلته القرنين 8-9)هـ14-15م.141-119 .*IBLA* , pp.).
2. ابو عبد الله محمد بن أحمدابن الشماع. (1984م). *الادلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية*. (الطاهر بن محمد المعموري، المترجمون) الدار العربية للكتاب.
3. ابي عبد الله محمد ابن مريم الشريف. (1908م-1226هـ). *البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان*. (محمد ابن ابي شنب، المترجمون) الجزائر : المطبعة التعالبية.
4. اسماعيل رشدي. (1322هـ-1904م). *السر المكنون في أبحاث الطاعون*. مصر : مطبعة الشعب.
5. روبار برنشفيك. *تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن13إلي نهاية القرن 15م*. (حمادي الساحلي، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.
6. محمد الهادي الشريف. (1993). *تونس من عصور ماقبل التاريخ إلي الاستقلال* (المجلد 3). (محمد الشاوش ،محمد عجينة، المترجمون) تونسدار سراس للنشر.
7. محمد بن ابي القاسم ابن ابي دينار. (1286هـ). *المؤنس في أخبار أفريقية وتونس*. مطبعة الدولة التونسية بمحاضرتها المحمية.
8. محمد حسن. (1999م). *المدينة والبادية بأفريقية في العهد الحفصي*. تونس: جامعة تونس الاولي تونس.
9. محمود الحاج قاسم محمد. (2020م-1441هـ). *البيئة والاوبئة في التراث الطبي العربي الأسلامي*. الموصل، العراق: دار ماشكي للطابعة والتوزيع.

[2498] ابي دينار القيرواني :المؤنس ،ص139

[2499] محمد حسن :المدينة والبادية،ص612.